الملامح الإيديولوجية في رواية الزلزال للطاهر وطار

اعداد

مريـــــــــم بوســـــــيف

جامعة تلمسان - الجزائر

الاستلام : ٢٠/ ٣ /٢٠١٩ القبول : ٥ / ٤ /٢٠١٩

المستخلص :

تعبّر الرواية الجزائرية عن روح العصر، فقد فرضت نفسها على الساحة الأدبية من حيث شكلها ومضمونها، واستطاعت أن تساير الشعب الجزائري وتعبر عن آلامه وآماله، فكانت المرآة العاكسة له، وقد سيطرت الكتابة الإيديولوجية على المشهد الروائي الجزائري بحيث لا يخلو أي نص أدبي من هذه المادة الأولية وقد ظهرت إيديولوجية الروائي بصورة واضحة، وهذا ما سنحاول في هذه المداخلة أن نعالجه تحت عنوان " الملامح الإيديولوجية في رواية الزلزال- للطاهر وطار-" إذ تعتبر رواية الزلزال رواية موقف إيديولوجي بامتياز تعكس الرؤية الإيديولوجية والموقف الفكري الذي يشكل بؤرة الفعل ورد الفعل في السلوك الاجتماعي، والطاهر وطار من الروائيين الجزائريين الذين لا تكاد رواية من رواياته تخلو من الأفكار الإيديولوجية.

الكلمات المفتاحية: الإديولوجيا- الرواية – الأفكار الإيديولوجية.

Résumé :

Reflect le roman algérien sur l'esprit du temps , Il s'est imposé sur la scène littéraire en termes de formes et de contenu , et a été en mesure de suivre le rythme avec le peuple algérien et d'exprimer sa passion et l'espoir , était un miroir réfléchissant à lui , a dominé la romancière scène idéologique algérienne écriture et donc pas sans texte littérature de cet article romancier initial clairement l'idéologie à émergé , et ce que nous allons essayer dans cette intervention pour traiter sous le titre de « caractéristiques idéologiques dans le roman tremblement de terre de TAHAR WATAR », car il est considéré comme un tremblement de terre roman une nouvelle position idéologique avec distinction reflète la vision idéologique et la position intellectuelle , qui est au centre de l'action et de la réaction dans le comportement social , et

TAHAR WATAR de romanciers algériens qui ne le font pas un roman de ses romans sont presque dépourvus d'idées idéologiques .

Mots clés : L'idéologie – Le roman – Idées idéologiques

مقدمة:

لقد سيطرت الكتابة الإيديولوجية على المشهد الروائي الجزائري لفترة من الزمن خاصة فترة السبعينات وبداية الثمانينات، و بالموازاة كانت الكتابة عن الثورة بنظرة إيديولوجية أيضا، والطاهر وطار من الذين تناولوا الإيديولوجيا في رواياته والذي لا يكاد أن تخلو رواية من رواياته منها فقد مرت الكتابة عند الطاهر وطار بتحولات ظاهرة في رؤيتها وبنيتها " إذ يصنف ضمن الأدباء القلائل الذين لا يستقرون على شكل روائي واحد ....وأن تطور الكتابة عند وطار لم يكن على مستوى الموضوعات فحسب، بل كان كذلك على مستوى الكتابة ذاتها، فقد طور أدواته ، ولم يعد يقنع بالكتابة التي تقترب من الواقع وتكتفي برصد تحولاته الخارجية، فقد أصبحت الكتابة عنده تنطلق من داخل النص الروائي ذاته، لتلتحم بالذاكرة وعناصر الحلم والتاريخ ."[١] ؛ فقد أحرص على ذلك منذ البدايات الأولى التي كانت مفعمة بحرارة الواقع وحسيته ، انتهاء بأعماله الأخيرة المنحازة إلى التجريد .

كانت بداية السبعينات هي المرحلة الفعلية التي عرفت قفزة حقيقية من الناحية الفنية في النصوص الروائية الجزائرية، والطاهر وطار تبوأ مكانة مرموقة وأصبح من أهم الأسماء الأدبية في الرواية الجزائرية و العربية" إذ تندرج أعماله في سياقاتها المختلفة لتؤرخ لكل التحولات والسيرورات الحاصلة في المجتمع الجزائري، منذ الثورة المسلحة إلى الاستقلال، مع التركيز على الجوانب الاجتماعية والثقافية"[٢]، حيث استطاع إعادة صياغة العالم وتشكيله وفق وعيه ورؤيته الخاصة.

كما ذكرنا سالفا أن الكتابة الإيديولوجية سيطرت على النص الروائي إذ تعد مكونا من مكونات البنية النصية الروائية " فهي نسق من الأفكار والعادات والأخلاق والمفهومات والقوانين والفنون ... الخ ، تتشكل في مرحلة تاريخية محددة، أو على قاعدة نمط إنتاج، أو نمط معين ."[٣]، فالإيديولوجيا تدخل إلى عالم الرواية التخييلي كمكون يكون أداة في يد الكاتب ليعبر في النهاية بواسطته عن إيديولوجيته الخاصة. " ففي النص الروائي نتعرف على جميع الإيديولوجيات المتصارعة، ولكن الكاتب لا يوجهنا إلى أي منها، إنه يتركنا أمام حيرة الإختيار ."[٤]

الطاهر وطار من كتاب الرواية العربية في الجزائر الذين يصنفون ضمن كتاب الرؤية أو الموقف الإيديولوجي، إذ يبرز ذلك بشكل حاد وعنيف في جل ما كتب، وهذا ما سنقوم بتوضيحه من خلال روايته الزلزال .

الزلزال والإيديولوجيا :

الزلزال: كلمة معرفة، والعنوان لم يأت اعتباطيا، سنكون أمام رجات اجتماعية، نفسية، ثقافية، فكرية، زلزال إنساني على مستوى المجتمع، إذا كان الزلزال الطبيعي يحدث كوارث فهو نفسه الذي سيحدث في الرواية .

إن المتأمل في رواية الزلزال وعلاقتها بالواقع والموقف الإيديولوجي من خلال الشخصية المحورية ألا وهي "عبد المجيد بولرواح " يجد أن الرواية ترصد مرحلة تاريخية و اجتماعية من واقع الجزائر؛ فقد عبرت شخصية بولرواح عن الراهن بكل التناقضات عبر ماض مثقل بتداعيات الذاكرة التاريخية و أرمت إلى المستقبل دون أن تحدد ملامحه بوضوح، شخصية تمثل ملتقى العناصر المتناقضة، جسدت المفارقة الطبقية التي قامت عليها الرواية فكرة ومضمونا، شخصية لا تريد أن ترحل تحب أن يبقى كل شيء كما كان سابقا، ترفض التغير، فبالرغم من امتلاكها الأرض والمال إلا أنها حزينة في حياتها، تدافع على أنفاسها الأخيرة أمام التغيرات الاجتماعية التي هزت طبقتها .

الأرض عند بولرواح كل شي، الأرض = الوجود = عنصرية الأرض .

بولرواح شخصية تصنف ضمن الطبقة البرجوازية التي يعتبرها الروائي عقبة كأداء في وجه أي تغير إيجابي قد يحصل في المجتمع الجزائري.

مكان مجريات الأحداث في الرواية، مدينة قسنطينة التي نزلت إلى الحضيض، الفوضى، البؤس، الفقر، عكس قسنطينة زمن الاستعمار.

الأفكار الإيديولوجية لشخصية عبد المجيد بولرواح :

يعود" بولرواح " إلى قسنطينة بعد علمه بأن مشروع الإصلاح الزراعي سيعرض على النقاش عما قريب، بعدما علم عنه من الاجتماع الأخير في الجزائر العاصمة، فيعود للبحث عن أقاربه ليكتب لهم الأرض ليتصرفوا فيها فيما وفاته " جئت أقطع الطريق بين الحكومة وبين أراضي بتسجيلها على أقاربي شرط ألا يحوزوها أو ينالوا ثمارها إلا بعد الموت "[٥] ، يتفاجأ بواقع مر لم يكن في الحسبان وهو أن قسنطينة أصبحت واقعا يتسم بالخراب والدمار، فبدأ يحس بزلزال في أفكاره " لا. الحق، الحق، المدينة انقلبت رأسا على عقب، زمن الفرنسيين كانت هادئة، هادئة بشكل ملفت للنظر.... ثم تخفت فجأة "[٦]

ويكشف سخطه أكثر ورفضه للمجتمع القسنطيني الجديد ، وهذا ما يقوله واصفا " الناس هنا غير مبالين كثيرا ببعضهم ففي الحين الذي يفعل فيه كل واحد ما يشاء، وكأنما وحده لا أحد يراقبه أو يتأثر بفعله، يمدون أيديهم جميعا لبعضهم معلنين عن بضائعهم، لا أحد متفق مع الآخر، ولا أحد مختلف مع الآخر، لا أحد يشعر بوجود غيره، ولا أحد في غنى عن غيره"[٧]

بولرواح يعبر عن فكرة الطبقة البرجوازية، فهو إقطاعي برجوازي، لا يؤمن بنسبة التطور، فهو يكرس مبدأ الثبات والديمومة، وإن كان لا بد من التطور أن يكون عموديا تسلسليا(وراثيا) لا أفقيا، تنتقل الأرض من عنده إلى أقاربه لا إلى غيره، فهو لا يرى في الأرض سوى ملكية خاصة، " الأرض لمن يملكها، لمن ملكها، وليس غير ذلك ، وملكية الأرض لا تتأتى لكل واحد كالموهبة، الذكاء، والعبقرية، والأرض أرض ليست إلا ملكية مجردة." [٨] ، حب الذات والأنانية لا يريد الرحيل وترك أراضيه لغير عائلته، فملكية الأرض ينبغي أن تبقى محصورة في المالكين الأوائل وأحفادهم فقط، ولا ينبغي أن تنتقل بأي حال من الأحوال إلى غيرهم، فهو إقطاعي برجوازي تبلور موقفه البرجوازي من خلال رؤيته الفلسفية لأنه رجل علم ومعرفة وتربية فهو مدير ثانوية بالعاصمة أي أن موقفه نابع عن قناعة إيديولوجية، يمكن أن نستخلص أفكاره فيما يلي:

- بولرواح هو الصالح لكل زمان و مكان .
- شخصية كثيرة الكلام لا شيء أصبح يعجبها، تريد أن تقتل الجميع وتبقى هي مع أراضيها .
- ينتقد الاشتراكية التي يغدو فيها الواحد كلا والكل واحدا، ولأنها تلغي الحوافز والمواهب الفردية وتقضي على العبقرية والتميز، فيفسر هذا من زاويته بتفسير ديني، لأن الدين لا جدال فيه، فبالنسبة له كفر وإلحاد على المسلمين محاربتها وعدم قبولها وإلا حل عليهم غضب الله ، فيقول : " لعن الله حكومة الكفار والملحدين وأعوذ بالله"[٩].

يرفض الاشتراكية ويربط رفضه بالدين حتى لا تذهب أراضيه ويبقى هو السيد ، يرفض الحاضر لأنه غير موجود فيه، ويقدس الماضي لأنه كان موجودا .

- استهجان وجود مستشفيات حكومية تؤمن العلاج للفقراء مجانا ويتدمر من التعليم المجاني الذي يسمح لأبناء الفلاحين بالارتقاء في العلم إلى مستوى أبناء الطبقة الأرستقراطية، حيث يقول مخاطبا نفسه: " هكذا فجأة من القعر، من أسفل سافلين، إلى أعلى عالين، يا لها من وقاحة "[١٠]

شخصية بولرواح ترفض التغيير الإيجابي في المجتمع لسببين :

١ ـ أنه ينقض على تاريخه الإقطاعي الذي ورثه عن أبيه، وتوفر للطبقة الفقيرة امتيازات، ومكاسب اجتماعية حكرا على الطبقة الغنية .

٢ ـ تهدد مصالحها الشخصية من خلال سعيها إلى تطبيق العدالة في المجتمع، فمثل هذه التغيرات تأتي في رأيه بمثابة مقدمة لتطبيق مشروع الثورة الزراعية .

يؤمن بأن الدين هو السلاح الوحيد الذي يخضع له البسطاء طوعا، فيفسر ما جاء في القرآن الكريم وفقا لمصالحه الشخصية ملصقا بالاشتراكية ومشروع الثورة الزراعية، صفات الكفر والبدع، " لاشيء لمن يملكه التملك وارد في القرآن الكريم ثم أن

الناس راضون بوضعيتهم، قانعون بما جاء الله عليهم من فئة وبما قسم عليهم الأرزاق، وما دخلهم هم رجال السلطة لولا أنهم يجعلون قيام الساعة بالمروق ." [١١]

خاتمة:

بهذه الأفكار التي حملتها شخصية بولرواح يرى أن حياة قسنطينة العريقة بما تزخر به من علم وعلماء، تتحول إلى كتلة جامدة لا تدب فيها الحياة بعد أن جمدتها عقول الريفيين ببداوتهم وقصر فهمهم، تفتقد إلى الثقافة و الفعالية، بولرواح مقابل المجتمع الجزائري غريبا دخيلا ينتمي إلى الماضي الجزائري المستعمر لا المستقل، قلق يسابق الزمن، يؤمن بأن الطبقة الغنية المالكة والثرية هي السيدة، والطبقة الفقيرة الكادحة من العبيد، فلا ينبغي أن يكون هناك انسجام بينهما، لا تداخل أو تقارب، فالسيد يبقى سيد إلى الأبد.

تمكن الطاهر وطار من رصد الواقع بكل تجلياته من خلال شخصياته الذي تأثر تصويره لها بمنظوره الفكري والفني، حيث ألفى مادة خصبة في البنية الاجتماعية المليئة بالأشياء التي تناولها بالعرض والوصف، حيث اتجه إلى وجهة تسجيلية وقائعية، تعتنق التأريخ وتعتبره مهمتها الأساسية، كأن هذه الرواية هي نوع من التدوين لحقبة تاريخية من استقلال الجزائر.

هوامش البحث:

١- إدريس بودية: الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار، منشورات مؤسسة بونة للبحوث والدراسات ، عنابة ، الجزائر ، ٢٠١١، ص ٣٠ .

المرجع نفسه ، ص٤٤ ٢-

٣ - محمد كامل الخطيب،الرواية والواقع، دار الحداثة، ١٩٨١، ص ١٥.

٤- حميد لحمداني، النقد الروائي والإيديولوجيا، المركز الثقافي العربي، بيروت، آب ١٩٩٠، ص٨.

٥ - الطاهر وطار، الزلزال، بيروت، الجزائر، دار العلم للملايين، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٧٤، ص ١٣٢.

٦- المصدر نفسه، ص ٨ .

٧- المصدر نفسه، ص ١١٢ .

٨- المصدر نفسه، ص ٨٠.

٩- المصدر نفسه، ص ٢٨ .

١٠- المصدر نفسه، ص ٨٧ .

١١- المصدر نفسه، ص ١٣.